العرب
الجمعة 2021/09/17
السنة 44 العدد 12182

إدارة بايدن تهرب من أفغانستان... إلى مصر!

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

تثير إدارة الرئيس جو بايدن في ضوء الانسحاب من أفغانستان، والطريقة التي تم بها هذا الانسحاب، مخاوف كثيرة وكبيرة في آن. تذكّر تصرّفات الإدارة الأميركيّة الحاليّة بكثير من قصر النظر والضعف اللذين اتسمت بهما إدارة جيمي كارتر وكمّية الحقد التي كانت تكنّها إدارة باراك أوباما لكلّ من يقف في وجه المشروع التوسّعي الإيراني.

وصل الأمر بإدارة أوباما إلى توقيع اتفاق في شأن الملفّ النووي الإيراني من دون سؤال أو جواب عن نشاطها التخريبي خارج حدودها عبر ميليشياتها المذهبيّة المعروفة. أكثر من ذلك، وفّرت إدارة أوباما لـ"الجمهوريّة الإسلاميّة" ما يكفي من الأموال كي تستمرّ في دعم ميليشياتها التي نشطت في العراق وسوريا واليمن ودمّرت بلدا اسمه لبنان عن بكرة أبيه.

تبدو إدارة بايدن حاليا مهتمة بحقوق الإنسان في مصر. جمدت قسما من المساعدة الأميركية لمصر، تقدّر قيمته بـ130 مليون دولار، وذلك بحجّة انتظار تحقيق تقدّم في قضيّة حقوق الإنسان. قد لا تكون مصر بلدا مثاليا في ما يتعلّق بحقوق الإنسان، لكنّ الظروف التي مرّت بها غابت عن إدارة أميركية لا تدرك طبيعة هذه الظروف والخطر الذي يشكّله الإخوان المسلمون على مستقبل مصر وعلى حقوق الإنسان فيها، بما في ذلك حقوق المرأة.

تبحث إدارة بايدن عن أعذار لتبرير سقوط كابول في يد طالبان. حمّل زلماي خليل زاد، الدبلوماسي الأميركي من أصل أفغاني الذي فاوض طالبان منذ العام 2018 عندما كان دونالد ترامب لا يزال رئيسا، الرئيس الأفغاني أشرف غني مسؤولية تسريع عملية سقوط كابول. قال زلماي خليل زاد في حديث نشرته صحيفة "فايننشال تايمز" البريطانيّة إن فرار غني من العاصمة عجّل في استيلاء طالبان على كابول في الخامس عشر من آب – أغسطس الماضي. كان يتوقع أن تؤدي مفاوضاته مع طالبان إلى تأخير دخول هؤلاء العاصمة الأفغانيّة خمسة عشر يوما. لا يدري الدبلوماسي الأميركي – الأفغاني الأصل أن المشكلة لم تكن يوما في تأخير سقوط كابول أو عدمه. المشكلة في طالبان نفسها التي لا تحترم حقوق الإنسان وتريد إعادة الشعب الأفغاني إلى عصر لا وجود فيه لأيّ نوع من القيم الحضاريّة، بما في ذلك الغناء والموسيقى، وأيّ احترام لحقوق المرأة والإنسان عموما.

لا يمكن تفسير تصرفات إدارة جو بايدن سوى بأنها تعبير عن إدارة حائرة وما يزيد من المخاوف حيال المستقبل أن الإدارة تبدو وكأنها لا تمتلك ردا واضحا على التصعيد الإيراني

لا يمكن الهرب من الواقع الأفغاني الذي تسببت به الإدارات الأميركية منذ العام 2001 عن طريق التركيز على حقوق الإنسان في مصر. يكفي أن يقرأ أيّ مسؤول أميركي يمتلك حدّا أدنى من الوعي السياسي ما ذكرته ظريفة غفاري، أول امرأة تشغل منصب رئيس بلديّة في بلدها، للتأكد من أنّ الهرب إلى مصر وإلى محاولة استرضاء بشّار الأسد، المسؤول عن قتل نصف مليون سوري وتهجير نحو عشرة ملايين من مواطنيه، لا ينفعان في شيء. قالت غفاري في مجلّة المرأة التابعة لصحيفة "لو فيغارو" الفرنسيّة "إن رجال طالبان يحاولون محو هوية المرأة، بل إزالة المرأة من المجتمع. إنّهم يزيلون أي صورة لأيّ امرأة في الشارع ويغطون وجهها في الملصقات. يرفضون أن تعمل المرأة أو أن تتعلّم وحتّى أن تخرج من بيتها". أين إدارة بايدن من ذلك كلّه؟

يظهر بكلّ وضوح أن ثمّة مشكلة في العمق تعاني منها الإدارة الأميركية التي ترفض الاعتراف بسلسلة الأخطاء التي ارتكبتها أخيرا. لا يختلف عاقلان على أنّه لم يكن مفرّ من الانسحاب العسكري من أفغانستان. لكنّه لا يختلف عاقلان أيضا على أن طريقة تنفيذ الانسحاب مهمّة نظرا إلى انعكاساتها على حلفاء الولايات المتحدة في المنطقة في وقت تمارس إيران التصعيد.

دونالد ريغان على مقتل نحو 250 عسكريا أميركيا دفعة واحدة بانسحاب عسكري من لبنان. وقتذاك، برّر ريغان في اتصال مع الرئيس أمين الجميّل الانسحاب الأميركي بقوله إن القوات الأميركية "ستعيد انتشارها على السفن في البحر". لم يكن ذلك سوى إشارة إلى مغادرة أميركية للبنان الذي تحوّل مع حلول العام 2021 إلى مجرّد جرم يدور في الفلك الإيراني... فيما الإدارة الأميركية تتفرّج!

لا يمكن تفسير تصرّفات إدارة بايدن هذه الأيّام سوى بأنّها تعبير عن إدارة حائرة بكلّ ما في كلمة الحيرة من معنى. ما يزيد من المخاوف حيال المستقبل أن الإدارة تبدو وكأنّها لا تمتلك ردّا واضحا على التصعيد الإيراني. بات مشروعا التساؤل هل إدارة بايدن مزيج من إدارتي كارتر وأوباما؟

كان مضحكا في عهد إدارة كارتر الحملات غير المباشرة التي شنتها على الملك حسين بحجة أنّه كان لديه تعاط مع وكالة الاستخبارات المركزيّة الأميركيّة (سي.آي.إي). هل سرّ عسكري أن الأجهزة الأمنيّة في بلد مثل الأردن كان يتعرّض لتهديدات من جهات مختلفة، في عزّ الحرب الباردة، أن تكون لدى قيادته علاقة بالاستخبارات الأميركيّة؟

كانت المهزلة في عهد أوباما في اختزال الرئيس الأميركي، وقتذاك، كل مشاكل الشرق الأوسط في الملفّ النووي الإيراني. صيف العام 2013 تغاضى أوباما عن استخدام بشّار الأسد السلاح الكيميائي في حربه على السوريين... كي لا تنزعج إيران وتوقف المفاوضات السرّية الدائرة مع الإدارة الأميركية في سلطنة عُمان في شأن ملفّها النووي.

الأكيد أن تصرّفات إدارة بايدن لا تدعو إلى الاطمئنان، بل تطرح سؤالا في غاية البساطة، خصوصا بعد الذي حصل في لبنان أخيرا وطريقة تشكيل الحكومة فيه. السؤال هل صار الاستسلام أمام إيران خيارا أميركيّا؟

هل هناك خطة مصرية للتعامل مع التحديات

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

تثير التوجهات المصرية حيال التعامل مع جملة من القضايا الداخلية والخارجية قدرا من الالتباس لدى قطاع كبير من المراقبين بشأن وجود خطة واستراتيجية يعمل بموجبها النظام المصري أم أن المسألة متروكة للمستجدات والتحديات، إذ تؤدي تطورات متباينة إلى النتيجتين السابقتين.

ما تحقق على الأرض في الداخل على أصعدة أمنية وسياسية وتنموية يقول إن هناك تصورات محكمة وأطرا محددة تعمل من خلالها المؤسسات المركزية في الدولة، وتشير حصيلة التفاعلات التي قام بها النظام المصري على المستوى الخارجي إلى نجاح كبير في إعادة هيكلة العلاقات مع قوى كبرى وصغرى في الشرق والغرب.

كما أن الطريقة التي تدار بها بعض القضايا لا تخلو من عشوائية ما يرجح كفة التعامل مع التطورات حسب ما تمثله من تهديدات، وأن إعادة صياغة الأجندة التي تدار بها البلاد تفتقد إلى الرؤية المستقبلية ما يعني التوقف عند مستوى معين من الأمان السياسي.

بين الرؤيتين توجد مساحة للاجتهادات ترجح كفة كليهما ما يشي بأن هناك تخطيطا في العناوين العريضة وعدم دقة في التفاصيل والتنفيذ في بعض المجالات، وهذه هي الصورة القريبة لفهم مقتطفات حيوية في ما يجري من تطورات على الساحة المصرية.

فما تحقق، بقطع النظر عن الاتفاق والاختلاف معه، جاء نتيجة رؤية يتحرك بموجبها النظام المصري مكنته من السيطرة على مفاصل الأمور وأزالت الكثير من العقبات التي يعتقد أنها ستكون حائلا دون تحقيق أهدافه في الداخل.

لعل الخطة التي تبنتها القاهرة في مجال مكافحة الإرهاب وصلت إلى ما رمت إليه، وتجفيف منابع الحركات الإسلامية داخل القواعد الشعبية وفي مقدمتها جماعة الإخوان لم يأت دون رؤية لها بدايات ونهايات وبينهما أدوات أمنية وسياسية ودينية وإعلامية وظفت بطريقة أفضت إلى خروج هؤلاء من المعادلة الداخلية لعقود قادمة.

استمد النظام المصري تركيزه على الملفات الاقتصادية والاجتماعية من رحم أخطاء وقعت فيها أنظمة سابقة، ويمثل تعمد الرئيس عبدالفتاح السيسي القيام بافتتاح الكثير من المشروعات إحدى أهم رسائله التي تفيد بأنه يعمل لبناء ما أفسده آخرون، وهي إشارات وجدت هوى لدى شريحة من المغرمين به وطبقات مستفيدة من مشروعاته.

ينطوي تضييق الحريات السياسية وتقويض دور الأحزاب وتهميش دور الإعلام على عمل فني مقصود أيضا لأن النظام على قناعة بأن ترك المجال مفتوحا سيكون سببا في تعطيل مسيرته فتركيزه على السلبيات وتوجيه انتقادات لكثير من أجهزة الدولة يعد أزمة، لكن الخوف يكمن في أن يصبح هذا التوجه خيارا استراتيجيا بالشكل الذي يتناقض مع أحلام التأسيس لجمهورية عصرية.

من أين تأتي المشكلة طالما أن هناك خطة ورؤية وسياسة معينة تحكم تصورات القاهرة إزاء التعامل مع القضايا الرئيسة؟

تأتي المشكلة من محددات غائبة لدى صناع القرار، أبرزها أن القائمين على وضعها وتنفيذها يملكون كافة المفاتيح التي تنسجم مع توازنات أقيمت في خيال أصحابها لشكل الدولة المصرية حتى ولو تم تفريغها من مجموعة ركائز تعتمد عليها الدول التي تصبو إلى غرس جذورها لتتمكن من مواجهة طوفان من التحديات.

عندما قرر السيسي الترشح في انتخابات رئاسة الجمهورية عام 2014 اعترف أنه لا يملك برنامجا محددا لكنه يملك رؤية للمستقبل وهي الجملة التي يستند إليها المراقبون لتفسير ما يصعب عليهم فهمه

أضف إلى ذلك عدم وجود شرح رسمي معلن للبرنامج الذي تسير على هديه الكثير من الخطوات، إذ يفاجأ المصريون بنتائج تتحقق على الأرض وقرارات دون معرفة من أين جاءت وكيف ولماذا، فالغموض البناء بات من أساسيات الحكم بالصورة التي تفسر دوافع تهميش الحريات والتراخي في إجراءات الإصلاح السياسي.

عندما قرر السيسي الترشح في انتخابات رئاسة الجمهورية عام 2014 اعترف أنه لا يملك برنامجا محددا لكنه يملك رؤية للمستقبل، وهي الجملة التي يستند إليها المراقبون لتفسير ما يصعب عليهم فهمه، فالرجل كان واضحا في عدم وجود برنامج سياسي في جعبته.

أخذ الكثير من المصريين هذه العبارة في حينه ورأوا فيها مقدمة لإخفاقات لاحقة في معالجة الترهل الذي بدت عليه الدولة المصرية قبل نحو سبع سنوات، غير أن النتيجة حاليا تخالف هذه التوقعات في نواحي العمران، حيث أثبتت أن الرؤية العامة لدى السيسي لا تقل أهمية عن البرنامج التفصيلي عند التطبيق.

تفك هذه الجملة أيضا جانبا من الألغاز التي تحيط بالنظام المصري، وكعادة غالبية الجنرالات ترك السيسي الباب مفتوحا للتخمينات والتكهنات والتقديرات الصحيحة والخاطئة ولم ينشغل بمن قال ماذا ومن أصاب ومن أخطأ، فالعبرة في نظره بالنتيجة التي يراها الناس أمام أعينهم.

ولذلك يتعزز القول بوجود خطة غير معلنة يسير على هديها الرئيس المصري ولا أحد يعلم أسباب إخفائها غيره، لأنه حقق معظم ما يصبو إليه من تطلعات وطموحات، وساعدته الخطة السرية في القبض على أمور كثيرة بالداخل وهي الصيغة التي تريحه في الحكم، ويقاس مقدار النجاح أو الفشل بما وصل إليه وفقا للأهداف التي رسمها.

نجح الرجل ووصل إلى الكثير مما أراده خارجيا من ناحية الانفتاح على قوى مختلفة أسهمت في تخفيف حدة التهديدات التي كانت تتعرض لها الدولة المصرية، وهو المكسب الذي تحقق بصعوبة وجاء بعد وقت طويل من المثابرة والعمل على تثمين مبدأ المصالح المتبادلة وتجنب الدخول في عداوات سافرة.

لم يأت التقارب الحاصل في علاقات القاهرة مع كل من قطر وتركيا وقبلهما الولايات المتحدة صدفة، بل جاء عقب فترة من العمل حرص النظام المصري خلالها على عدم الانزلاق إلى صدام إقليمي مباشر، وجرى تفكيك أجزاء مهمة في الأزمات المحتدمة، وإبداء مرونة في التجاوب مع الدول التي مددت خيوطها له والتخلي عن المعادلة الصفرية التي يمكن أن تكبد أي دولة تنهض من كبواتها خسائر باهظة.

غاب هذا النوع من المغامرات الخطيرة عن قاموس الدولة المصرية في عهد السيسي ولم يعد مطروحا في أي من أدبيات نظامه حاليا، ما عزز فكرة تنويع الروابط مع دول كثيرة بما فيها دول تعيش مرحلة خصومة معلنة وأخرى مستترة مع القاهرة.

كان تحاشي الدخول في عداوة مع إيران نوعا من الحكمة البعيدة وليس خوفا منها، وكان عدم قطع الخيوط مع النظام السوري رشادا سياسيا، كما أن التلويح بالخشونة في حالتي ليبيا وإثيوبيا عبّر عن الجاهزية العسكرية والقدرة الردعية، وكلها محطات تشير إلى وجود رؤى وتقديرات.

تقود هذه المعطيات إلى أن ثمة خطة لإدارة المرحلة القادمة تستمد ملامحها من الرؤية التي طبقها النظام المصري الفترة الماضية. لكن السؤال الكبير هل ما نجحت القاهرة في تطبيقه يصلح تكراره في المستقبل؟ وهو موضوع مقال آخر.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk